ـ ٥ ـ

الخلط بين الجهاد.. وبين الحرب المقدسة

أما الفرية الثالثة ـ التى افتراها عظيم الڤاتيكان على الإسلام وحضارته وتاريخه ـ فهى خلطه بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة»، التى عرفتها ومارستها المسيحية الغربية ضد العالم الإسلامى.. حملات صليبية دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م].. والتى اشتهر منها ما يقرب من ثلاثين حملة، مثلت أولى الحروب العالمية الأوروبية، التى قادتها الكنيسة الكاثوليكية، وسخرت فيها فرسان الإقطاع الأوروبيين، ومولتها المدن التجارية الأوروبية.. لاحتلال الشرق.. وإعادة اختطافه من التحرير الإسلامى.. ونهب ثرواته، وإقامة الكيانات الاستعمارية الاستيطانية على أراضيه..

كما مارست الكنيسة الكاثوليكية هذه «الحرب الدينية المقدسة» ضد البروتستانت [١٥٦٢ ـ ١٦٢٩م].

ـ وفيها اشتهرت إحدى عشرة حربا.. وأبيد فيها ـ كما أشرنا ـ ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا ـ أى عشرة ملايين.. وفق إحصاء «فولتير» [١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م]..

كما مارست هذه المسيحية الغربية ـ كاثوليكية.. وبروتستانتية ـ هذه «الحرب الدينية المقدسة» بواسطة «محاكم التفتيش» ضد المخالفين والمفكرين والفلاسفة والعلماء.. فأبادت فيها الملايين بالخنق والإحراق والإغراق والإعدام شنقًا أو على «الخازوق المقدس» طوال ثلاثة قرون!!..

يخلط عظيم الڤاتيكان بين الجهاد الإسلامى وبين هذه الحرب الدينية المقدسة، التى جعلت سفك دماء المخالفين من أعظم القربات التى يتقرب بها أساقفتهم ورهبانهم

وفرسانهم إلى الرب، ويكفرون بها عن الذنوب والآثام!.. ويمتلكون بها «المفاتيح البطرسية» لجنات النعيم!!..

وانطلاقًا من هذا الخلط للأوراق، يدعى عظيم القساتيكان أن الإيمان الدينى الإسلامى هو الذى يؤسس للعنف والإرهاب..

ولقد كان حريا بمن يتولى هذا المنصب الأعظم فى كبرى الكنائس المسيحية.. والذى يدعى دراسة الفلسفة وتدريسها.. ويتحدث عن عقلانيته وعقلانية إيمانه.. كان حريا به أن يعلم الحقائق البسيطة.. والمعروفة.. والصلبة، التى تنفى هذا الخلط للأوراق.. تلك الحقائق التى تقول:

إن هناك تمييزًا ـ فى الإسلام.. والقرآن.. واللغة العربية ـ بين: الجهاد.. والقتال.. والإرهاب..

١ ـ فالجهاد هو بذل الوسع واستفراغ الجهد فى أى ميدان من ميادين الخير والبر والصلاح والإصلاح.. فالرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد جهاد.. وبر الوالدين جهاد.. ومقاومة النفس الأمارة بالسوء جهاد.. ومقاومة وساوس الشيطان جهاد.. وعمران الأرض وتزيينها جهاد.. وطلب العلم جهاد.. والزهد فيما فى أيدى الآخرين والاستغناء عنه جهاد.. والإحسان فى العمل.. وإلى الجيران ـ بصرف النظر عن دياناتهم ـ جهاد.. والحج والعمرة جهاد.. وحسن العشرة الزوجية جهاد.. والإخلاص فى تربية الأبناء جهاد.. وإخلاص العبودية لله جهاد..

ولذلك، فإن الجهاد ـ بهذا المعنى الإسلامى العام والواسع ـ هو فرض عين على المؤمن بالإسلام، يؤديه وفق الوسع والطاقة فى أى ميدان من هذه الميادين، التى تشمل كل ميادين البر والخير والصلاح والإصلاح فى هذه الحياة.. ولهذه الحقيقة كانت المرة الوحيدة التى وصف فيها الجهاد بالكبير فى القرآن، تشير إلى الجهاد بالقرآن الكريم.. وليس بالسيف والقتال: ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

٢ ـ أما القتال ـ الذى هو شعبة واحدة من شعب الجهاد العديدة ـ فهو تقديم النفس والمال فى القتال الدفاعى ضد الذين يعتدون على المسلمين، فيفتنونهم فى دينهم، أو

يخرجونهم من ديارهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٦ ـ ٩].

هذا هو حجم «القتال فى الإيمان الإسلامى، بالنسبة إلى عموم فريضة الجهاد.. ولهذه الحقيقة كان الجهاد ـ فى الإسلام ـ فريضة دائمة وجامعة، على كل المكلفين.. وكان القتال استثناء مكروهًا مفروضًا من المعتدين على الإسلام والمسلمين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. وكان فرض كفاية، وليس فرضًا على الجميع.

ولهذه الحقيقة ذاتها ـ حقيقة الانحياز الإسلامى للسلام ـ كان الحجم المحدود لضحايا كل غزوات رسول الله ﷺ على امتداد سنواتها التسع ـ كما أسلفنا ـ ٣٨٦ من الفريقين ـ المسلمين والمشركين.. [1] حتى أننا ليمكننا القول: إن عدد البعوث التى أرسلها رسول الله ﷺ لتعليم القرآن والإسلام.. وعدد المساجد والأماكن التى هيأتها الجيوش الإسلامية لأداء الصلوات، هى أكثر بكثير من عدد الضحايا الذين سقطوا فى كل هذه الغزوات!!..

ولقد كان حريا بالحبر الأعظم للڤاتيكان ـ أستاذ الفلسفة ـ أن يعى هذه الحقائق

(١) ابن عبد البر [الدرر فى اختصار المغازى، والسير] تحقيق: د. شوقى ضيف ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦م. وانظر كتابنا [الإسلام والآخر] ص ٦٥ ـ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

التاريخية . . وله فى بلاد الإسلام وفى بلاد الغرب الكثير من الذين درسوا تاريخ الإسلام وتخصصوا فيه . .

كما كان حريا به أن يقارن عدد هؤلاء الضحايا ـ الذين انتصر بهم الإسلام على الشرك الوثنى ـ بضحايا «الحروب المسيحية» ـ المقدس منها وغير المقدس ـ وذلك قبل أن يفترى على الإسلام ورسوله، بفرية الانتشار بالسيف . . والخلط بين الجهاد الإسلامى وبين الحرب الدينية المقدسة . .

كان حريا بالحبر الأعظم للڤاتيكان أن يقارن بين رقم ٣٨٦ ـ ضحايا حروب محمد ﷺ وبين ضحايا حروب كنيسته المقدسة مع البروتستانت ـ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ ـ (عشرة ملايين) . . يضاف إليها الملايين ـ التى لا ندرى عددها ـ لصراعات وحروب محاكم التفتيش . . والملايين التى أبادتها مسيحيته فى استعمارها لأمريكا ـ الشمالية والوسطى والجنوبية ـ وكذلك فى أستراليا ونيوزيلاندا . . مضافا إليها ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ (أربعين مليونًا) من الزنوج الأفارقة، الذين أسروا واختطفوا وسلسلوا بالحديد، وشحنوا فى سفن الحيوانات، لتقوم على عظامهم ودمائهم، وأرواحهم رفاهية الحضارة المسيحية الغربية!! . . وذلك فضلاً عن ستين مليونًا هم ضحايا الحربين العالميتين اللتين شهدهما النصف الأول من القرن العشرين ـ الأولى [١٩١٤ ـ ١٩١٨م] . . والثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م] . . وكذلك الحروب التى لا تزال تشنها مؤسسات الهيمنة الغربية . وتباركها ـ أو تصمت إزاءها الكنائس الغربية ـ على امتداد عالم الإسلام . . والتى تستخدم فيها كل أنواع الأسلحة المحرمة دوليًا . . من اليورانيوم المنضب . . إلى الفسفور الأبيض . . إلى القنابل العنقودية . . إلى ما لا يعلمه إلا الله من ثمرات «العبقرية ـ الشيطانية» للفلسفة الغربية التى تخصص فيها عظيم الڤاتيكان! . .

• ثم . . ألم يقرأ عظيم الڤاتيكان ـ وهو ألمانى ـ ما كتبته العالمة الألمانية الدكتورة «سيجريد هونكة» فى التمييز بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المقدسة» فى المسيحية . . والذى قالت فيه :

«إن الجهاد الإسلامى ليس هو ما نطلق عليه ـ ببساطة ـ مصطلح الحرب المقدسة .

فالجهاد ـ كما يذكر الألمانى المسلم أحمد شميدة ـ «هو كل سعى مبذول، وكل اجتهاد مقبول، وكل تثبيت للإسلام فى أنفسنا، حتى نتمكن فى هذه الحياة الدنيا من خوض الصراع اليومى المتجدد أبدًا ضد القوى الأمارة بالسوء فى أنفسنا وفى البيئة المحيطة بنا عالميا. فالجهاد هو المنبع الذى لا ينقص، والذى ينهل منه المسلم مستمدًا الطاقة التى تؤهله لتحمل مسئوليته، خاضعًا لإرادة الله عن وعى ويقين. إن الجهاد هو بمثابة التأهب اليقظ الدائم للأمة الإسلامية للدفاع بردع كافة القوى المعادية التى تقف فى وجه تحقيق ما شرعه الإسلام من نظام اجتماعى إسلامى فى ديار الإسلام» . . .

واليوم، وبعد انصرام ألف ومائتى عام، لا يزال الغرب النصرانى متمسكًا بالحكايات المختلقة الخرافية، التى كانت الجدات يروينها، حيث زعم مختلقوها أن الجيوش العربية بعد موت محمد نشرت الإسلام «بالنار وبحد السيف البتار» من الهند إلى المحيط الأطلنطى. ويلح الغرب على ذلك بكافة السبل: بالكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وفى الجرائد والمجلات، والكتب والمنشورات، وفى الرأى العام، بل فى أحدث حملات الدعاية ضد الإسلام.

﴿لا إكراه فى الدين﴾: تلك هى كلمة القرآن الملزمة ـ كما ترد فى الآية السادسة والخمسين بعد المائتين من سورة البقرة. . فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامى، وإنما بسط سلطان الله فى أرضه، فكان للنصرانى أن يظل نصرانيًا، ولليهودى أن يظل يهوديًا، كما كانوا من قبل. ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، وما كان الإسلام يبيح لأحد أن يفعل ذلك. . ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم. .

لقد كان أتباع الملل الأخرى ـ وبطبيعة الحال من النصارى واليهود ـ هم الذين سعوا سعيًا لاعتناق الإسلام والأخذ بحضارة الفاتحين، ولقد ألحوا فى ذلك شغفا وافتتانا، أكثر مما أحب العرب أنفسهم، فاتخذوا أسماء عربية وثيابًا عربية، وعادات وتقاليد عربية، واللسان العربى، وتزوجوا على الطريقة العربية، ونطقوا بالشهادتين. لقد كانت الروعة الكامنة فى أسلوب الحياة العربية، والتمدن العربى، والسمو والمروءة والجمال. . وباختصار: السحر الأصيل الذى تتميز به الحضارة العربية، بغض النظر عن الكرم العربى والتسامح وسماحة النفس ـ كانت هذه كلها قوة جذب لا تقاوم.

إن سحر أسلوب المعيشة العربى ذاك قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسى «ڤولشير الشارتى»:

«وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين»!.

ثم راح يصور أحاسيسه وقد تملكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة فى الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكراً:

«أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟! بعدما أفاء الله علينا، وبدل الغرب إلى الشرق»؟!..

بهذا انتشر الإسلام.. وليس بالسيف.. أو الإكراه..»[1].

هلا قرأ عظيم الڤاتيكان ـ وهو ألمانى ـ هذا الذى كتبته العالمة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة.. وتعلم الفارق الجوهرى بين «الجهاد الإسلامى» وبين «الحرب الدينية المسيحية المقدسة»؟.. وذلك بدلاً من أن يردد ـ فى القرن الواحد والعشرين ـ «حكايات الجدات الخرافية» عن انتشار الإسلام ـ من الهند إلى المحيط الأطلنطى «بالنار وبحد السيف البتار»!..

● وإذا كان عظيم الڤاتيكان لا يزال بحاجة إلى شهادة أوروبية تعلمه الفروق بين الحرب الدينية المسيحية المقدسة ـ حرب الإكراه على تغيير العقيدة.. والتقرب إلى الله بسفك دماء المخالفين ـ وبين الجهاد الإسلامى.. فإننا نقدم إليه شهادة المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» ـ التى أوردتها العالمة الألمانية سيجرد هونكة.. وهى تتحدث عن ممارسة بطاركة الكنيسة الكاثوليكية هذه الحرب المقدسة إبان حروبهم الصليبية ضد المسلمين.. وفى مدينة القدس تحديداً.. فقالت:

«لقد أصدر كبير وعاظ الحروب الصليبية «برنارد كليرفوكس» أمره إلى المحاربين الصليبيين: «إما التنصير وإما الإبادة»!.

ووصف المؤرخ الأوروبى «ميشائيل درسيرر» مذبحة المسلمين فى القدس سنة ١٠٩٩م على يد الصليبيين، وكيف كان البطريرك نفسه يعدو فى زقاق بيت المقدس، وسيفه يقطر دما، حاصداً به كل من وجده فى طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة

(١) سيجريد هونكة [الله ليس كذلك] ص ٤٠ ـ ٤٣.

القيامة وقبر المسيح فأخذ فى غسل يديه تخلصا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور التالى: «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقا إن للصديق مكافأة، وإن فى الأرض إلها يقضى» [المزمور ٥٨: ١٠ ـ ١١] ـ . . ثم أخذ البطريرك فى أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم فى حياته للرب بأى قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب»!![1].

تلك هى الحرب الدينية المقدسة، التى مارستها الكنيسة الكاثوليكية ضد الإسلام والمسلمين. . والتى كان بطاركة هذه الكنيسة يتقربون ـ فيها ـ إلى ربهم بسفك دماء المسلمين. .

والتى خلط بينها وبين الجهاد الإسلامى بابا الڤاتيكان!

***

٣ ـ أما الإرهاب ـ الذى يعنى: استخدام العنف لترويع الأبرياء والآمنين والمسالمين، وذلك لتحقيق أهداف سياسية ـ فإنه مجرّم ومحرّم فى الإسلام. . بينما هو صناعة غربية، مارسته وتمارسه الدول والحكومات. . وليس فقط الأفراد. .

● لقد حرّم الإسلام ترويع الآمنين، واستخدام العنف ضدهم، وذلك عندما وضع دستورًا أخلاقيًا حتى للحرب الدفاعية المشروعة. . حرم قتل المسالمين الذين ليسو طرفا فى العدوان والقتال. . وجاء فى سنة رسول الإسلام ﷺ أنه «نهى عن قتل النساء والولدان» ـ رواه مالك فى [الوطأ] ـ . .

كما صاغ الراشد الأول أبو بكر الصديق ـ كما أسلفنا ـ هذه القيم الإسلامية فى دستور للفروسية الإسلامية، وذلك عندما أوصى قائد جيشه «يزيد بن أبى سفيان» [١٨ هـ/ ٦٣٩م] بالرفق، ليس فقط بالآمنين والمسالمين والأبرياء. . وإنما أوصاه ـ أيضًا ـ بالرفق بالحيوان. . والنبات. . فقال له:

«إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبّسوا أنفسهم له. . وإنى موصيك بعشر: (ذكرت الوصايا فى صفحة ٧٤ ونذكرها هنا مرة ثانية).

(١) المرجع السابق: ص ٢٠ ـ ٣٤

١ ـ لا تقتلن امرأة . .

٢ ـ ولا صبيا . .

٣ ـ ولا كبيرا هرما . .

٤ ـ ولا تقطعن شجرا مثمرا . .

٥ ـ ولا تخربن عامرا . .

٦ ـ ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة . .

٧ ـ ولا تحرقن نخلا . .

٨ ـ ولا تفرقنّه . .

٩ ـ ولا تغلل . .

١٠ ـ ولا تجبن . . » ـ رواه مالك فى [الموطأ] ـ . .

فـأين هو هذا الإرهاب الإسـلامى، المؤسس على الإيمـان الدينى، الذى زعـمـه وافتراه ـ على الإسلام والمسلمين ـ الحبر الأعظم للڤاتيكان؟!

● لقد وصف الرجل دفاع المقاومة اللبنانية ضد العدوان الصهيونى على لبنان ـ فى يوليـو ـ أغـسطس سنة ٢٠٠٦م ـ بأنه «إرهاب»!! . . وذلك عندمـا أدان «الإرهاب» و«الانتقام» . . فاعتبر دفاع الضحية إرهابا . . وعدوان المعتدى ـ الذى استخدمت فيه الأسلحة المحرمة دوليّا : اليورانيوم المنضب . . والقنابل العنقودية ـ مجرد انتقام من الإرهاب!! . .

● ولقد مـضى على تولى البابا بنديكتوس السادس عـشر منصـبه فى أكبـر كنائس النصرانية أكثر من عام . . وهو يصمت صمت القبور على الإرهاب الغربى الذى ينطلق من الأساطير «الأصولية ـ المسيحية ـ الصهيونية» لإبادة مئات الآلاف من المسلمين فى العراق . . وفلسطين . . وأفغـانستان . . والشيشان . . وكشـمير . . والصـومال . . والسودان . . والفيليبين . . وبورما . . إلخ . . إلخ . . وهو إرهاب وإبادة تمارسهما دول عظمى وكبرى، تحركها الأيديولوچية الصليبية وجماعات اليمين الدينى المسيحى .

● كما صمت ويصمت ـ عظيم الڤاتيكان ـ على الإرهاب الغربى الإمپريالى ـ المدعوم مسيحيا ـ والذى يغطى أرض كثير من بقاع العالم الإسلامى بالقواعد العسكرية، وأسلحة الدمار الفتاكة.. كما يغطى البحار والمحيطات الإسلامية بالبوارج والأساطيل وحاملات الطائرات!..

فأين موقف عظيم الڤاتيكان من هذا الإرهاب؟!.. أم أن له عنده اسما آخر غير الإرهاب؟!..

● وإذا كانت قدرات الرجل الفكرية قد جعلته يغوص ويعود إلى ما قبل أربعة عشر قرنا، ليفترى على الإيمان الإسلامى فرية تأسيسه للعنف والإرهاب.. فأين ذهب ذكاؤه، وأين ذهبت ثقافته من «عصر الإرهاب» الذى تفتخر به الثورة الفرنسية ـ التى قامت فى فرنسا الكاثوليكية ـ رعية عظيم الڤاتيكان ـ والذى يدرّس فى كل مدارس الدنيا، كإنجاز من إنجازات الحضارة الغربية!.. وذلك دونما إشارة إلى «إرهاب الدولة»، الذى ابتدعه الغرب، ولا يزال يمارسه ضد الآخرين حتى هذه اللحظات!..

***